مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة الخامسة- العدد الحادي عشر

ربيع الثاني ١٤٤٢هـ- تشرين الثاني ٢٠٢٠م

إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)
عقيدة الديانات الثنوية – دراسة تحليلية

Nullification of dualism buy Imam Ali (pbuh)

analytical study.

أ. م. د. وليد عبد الحميد خلف

جامعة الكوفة / كلية الفقه

Assist. Prof. Dr. Walid Abdel Hamid Khalaf

University of Kufa \ College of Faqih

ملخص البحث

بعدما تولى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة قصد بثقله العراق لتصحيح المسيرة ووئد الفتنة، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وقد واجه شبهات عقدية في العراق بعضها متوطن من ديانات بلاد وادي الرافدين السابقة، وبعضها وافد من ديانات بلاد فارس والهند.

وفي أرض العراق التي تعاقبت عليها الأديان وامتزجت فيها الفلسفات وتلاقحت عندها الأفكار، كشف بأقوال وخطبه ورسائله وأدعيته ومحاوراته الشبهات وأزال اللبس وبين المجمل وأظهر الحق، وفنَّد أصول الديانات الثنوية ومقولات الفلاسفة ورؤى المشككين بالدليل الدامغ والحجة البينة.

وفي عالمنا المعاصر تتجدد اليوم فلسفات ورؤى، وتثار شبهات معرفية وإشكاليات فكرية، قديمة في مضمونها معاصرة في صياغتها وأسلوبها، كانت ولا زالت أصولًا ومبادئ في ديانات بعضها اندثر وبعضه لا زال باقيًا بعد تطور وتجدد، ومن ذلك عقيدة الديانات الثنوية التي لا تزال حية في بعض البلدان يتعبد بها ملايين من بني البشر.

وأن وجود الشر علة ظهور عقيدة الديانات الثنيوية، ويتجسد وجود الشر في الموجودات كالنار والحيوانات والهواء والماء والعواصف والشمس والبرق وغيرها من الموجودات التي شكلت خطرًا على حياة الإنسان، ويتجسد أيضًا في المصاعب والآلام والمظالم والأمراض والعاهات والكوارث والمصائب والمعاناة ونحوها، وكل ذلك عكر صفو حياة الإنسان وجعله قلقًا خائفًا يعيش الرهبة الدائمة بلا لذةٍ ولا سعادة.

Abstract

Imam Ali goes to Iraq soon after his succession, to correct the path, end strife, do right, he has faced suspicion of religious belief in Iraq, most of them endemic from former religious cult of Mesopotamia, and from India and Persia religions. On Iraq Sal religions have alternated, philosophies mixed, crosses – fertilization promoted. He revealed suspicions by his words, speeches, letters, prayers on conversations, he removes confusion, shows the truth refutes origin of Dualism, philosophies saying, sceptics, perspective with corroborative evidence. In our contemporary world, philosophies and perspectives have renewed, cognitive suspicions and problematic issues raised which are ancient content modern in form and style. It remain guidelines and principles of religions some of them gone and some still after renewal and development such as Dualism which still exist in some countries worshipped by millions of emergence of Dualism. The existence of evil has embodied in fire, animals, air, water, storms, sun, lighting and other things which constated a danger to human life. And also embodied in hardships, illnesses, impairment, disaster, calamity, suffer, etc. All this disturbed human life and make him worried, live in fear.

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا ضد ولا ند، والصلاة والسلام على سادات البرية وأشرف الخلق أجمعين نبينا صاحب المقام المحمود محمد وآله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين.

موضوع البحث: إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيدة الديانات الثنوية- دراسة تحليلية.

أسباب اختيار البحث: الحاجة الفكرية لمعرفة هدي الوحي الإلهي في جدلية الثنوية الدينية وإشكالياتها الفلسفية في الثقافة المعاصرة، والأجوبة المتعلقة بذلك، على وفق ما أصّله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

مشكلة البحث: التساؤلات المعرفية المتعلقة بالرؤية الكونية الباعثة على الاعتقاد بالثنوية، والمتمثلة بإشكاليات مقولة "الخير والشر" التي تشغل بفعل الحوادث والوقائع اليومية والمستمرة من بين أمور أخرى الفكر الديني والفلسفي المعاصر كما شغلته منذ أزمنة غابرة، ولا تزال تثير تساؤلات عقدية وعصفاً ذهنياً مزلزلاً في كثير من الأحيان.

جدوى البحث: إن معرفة مقولة الحق التي بيّنها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في حقيقة الخير والشر، وفي تحليل الثنوية وتفنيد شبهاتها، فيها إجابات معرفية وافية تعالج الإشكاليات المتعلقة بذلك معالجة ناجعة، أحوج ما نكون إليها في عالمنا المعاصر الذي تتجدد فيه تساؤلاتها وتتفرع وتكثر في الساحة الفكرية، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، ولذا فإنه موضوع يستحق البحث والدراسة والنظر والتأمل.

أسئلة البحث: وتتفرع على موضوع البحث تساؤلات جوهرية مهمة تتعلق بوجود الله تعالى

وصفاته بما فيها وحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته، وإذنه في وقوع الشر ولوازمه وما يلحقه من أذى بالكائنات الحية وفي مقدمتها الإنسان، والحكمة من خلق الشيطان باعتباره فاعل الشر الأول، وفرضية العقيدة الثنوية لشبهات تتفرع على تلك التساؤلات.

أهداف البحث: البرهنة على أن العقائد الثنوية أوهام في أذهان واضعيها مصدرها ظنونهم وقصور إدراكهم، بلا دليل عقلي منطقي يدل عليها، يجددها التفسير الخاطئ للحوادث والوقائع، وأن الدليل القطعي اليقيني قائم على إثبات وحدانية الله تعالى وصفاته الكمالية والجلالية.

والبرهنة على أن الأصل في الكون الخير، وأما الشر فنشوز، وكثير منه يفعله الإنسان بإرادته الحرة، وأن طبيعة الحياة الدنيا تقتضي المكابدة والفتن والمحن.

أهمية البحث: يبين البحث ضرورة الإفادة من وقوع الشر بتحويله إلى فرصة للنجاح والصلاح والفلاح بجميع الوسائل الممكنة والآليات المتاحة في عصرنا، بعد تحليل الشبهات المعرفية ونقد الإشكاليات الفكرية المتعلقة بمقولة "الخير والشر" وتحولها إلى عقائد ثنوية نقداً علمياً موضوعياً، مما يسهم في إثراء المعارف الإنسانية في دراسات وبحوث منهجية انطلاقا من فيض علوم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

فرضيات البحث: إن إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيدة الديانات الثنوية وتفنيد شبهاتها وبيان مقولة الحق في الخير والشر والاشكاليات المترتبة عليها في خطبه وأقواله بأسلوب مذهل يجمع الإبداع في التحليل، وبلاغة العبارة وجمال القول ودقة الرؤية وروعة

المعنى وعمق الفلسفة، وبما يدل على قداسة المصدر (وحي من الله تعالى، وهدي من رسوله صلى الله عليه وآله)، كل ذلك تأصيل لمشروع علمي تكاملي ريادي يلبي حاجة معرفية معاصرة.

حدود البحث ومجتمعه: لما كان موضوع البحث إبطال عقائد وتفنيد شبهات تتمحور حول مقولة "الخير والشر" التي تلامس أعماق الإنسان (كل إنسان) وتعصف في ذهنه وتجول في خاطره بصور متعددة منها تساؤلات وأفكار ورؤى، فإن حدود البحث الزمانية كل عصر، والمكانية جميع البلدان والأقطار، وحدوده المجتمعية الأمم والشعوب بمجتمعاتها المختلفة.

منهج البحث: لما كان موضوع البحث "إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيدة الديانات الثنوية" موضوع فكري عقدي جدلي، فاقتضى هذا أن يكون منهج البحث فيه المنهج الوصفي التحليلي للحصول على نتائج علمية دقيقة.

هيكلية البحث: اقتضت ضرورة البحث العلمية وموضوعيته أن يكون في مباحث ثلاثة: أولها في الأصول العقدية للديانات الثنوية والرؤى الفلسفية المتعلقة بإشكاليتي الخير والشر، وثانيها في إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الأصول العقدية للديانات الثنوية، وثالثها: في تفنيد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إشكاليات الخير والشر، وخاتمة البحث نتائج علمية موضوعية.

المبحث الأول

الأصول العقدية للديانات الثنوية وأسس الرؤى الفلسفية

في عالمنا المعاصر تتجدد اليوم فلسفات ورؤى، وتثار شبهات معرفية وإشكاليات فكرية، قديمة في مضمونها، معاصرة في صياغتها وأسلوبها، كانت ولا زالت أصولاً

ومبادئ في ديانات بعضها اندثر وبعضها لا زال باقيا بعد تطور وتجدد، ومن ذلك عقيدة الديانات الثنوية التي لا تزال حية في بعض البلدان يتعبد بها بعض بني البشر، فلأسباب مختلفة بعضها فلسفية ونفسية واجتماعية وكونية ومعرفية شغلت الثنائية الموجودة في الكون أذهان الناس، ومن بين أمل وألم، وخوف ورجاء، وخرافة وأسطورة، وانحراف وانجراف، وجهل وشبهة اعتقد بعض الناس بالثنوية دينا (بأصوله العقدية وطقوسه وممارساته) فجانبوا الحقيقة وضلوا عن الصواب[1]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2].

إن الرؤية الكونية الباعثة على تلك العقيدة والمتمثلة بتساؤلات تتعلق بالكون والوجود والإنسان والحياة، وبإشكاليات مقولة "الخير والشر" تشغل بفعل الحوادث والوقائع من بين أمور أخرى الفكر الديني والفلسفي المعاصر كما شغلته منذ أزمنة غابرة[3]، ولا تزال تثير تساؤلات عقدية وعصفا ذهنيا مزلزلا في كثير من الأحيان، وفيما يأتي إيجاز البحث في ذلك:

أولا. الأصول العقدية للديانات الثنوية:

إن جوهر الديانات الثنوية الإيمان بأصلين مختلفين للوجود كل منهما إله مستقل في ذاته يتساوى مع الآخر في القدم والقدرة، ويختلف عنه في النفس والجوهر والطبع والصورة، ويضاده في الفعل والتدبير، هما:

١. **إله الخير "النور"**: وهو إله خيّر حكيم بطبعه، يجب أن يُعبد ليُشكر على فعله الخير، ويُطلب عونه، ويُضمن نفعه، ويُستدر عطفه.

٢. **إله الشر "الظلام"**: وهو إله شرير سفيه بطبعه، يجب أن يُعبد

استسلاما لطغيان قوته؛ لأنه لا قبل بمواجهته، وليُرضي ويُتقي أذاه، وخوفاً من نقمته[٤].

وفي عقيدة الديانات الثنوية: أن العالم صادر عن إلهي الخير والشر، وأنهما معاً يدبران العالم بصراعهما الدائم فإله الخير يدبّر العالم وإله الشر يفسده، وحربهما سجال فينتصر أحدهما حينا ويخسر حينا آخر[٥].

إن الإيمان بوجود الشر في العالم علة ظهور عقيدة الديانات الثنوية، وذلك حينما رأى الإنسان أن وجود الشر يتجسد في الموجودات كالنار والحيوانات والهواء والماء والعواصف والشمس والبرق وغيرها من التي شكلت خطرا على حياة الإنسان، ويتجسد الشر أيضا في المصاعب والآلام والمظالم والأمراض والعاهات والكوارث والمصائب والمعاناة ونحوها[٦]، وكل ذلك عكر صفو حياة الإنسان وجعله قلقاً خائفاً يعيش الرهبة الدائمة بلا لذة ولا سعادة، يتفكر في أسباب الشر ودواعيه، يترقب آثاره ونتائجه، يحمل هَمَّ النجاة منه وينشد الخلاص، ونتيجة لهذا وذاك انحرف الإنسان فابتدع الديانات الثنوية عقائد ورؤى وطقوس وممارسات[٧].

وأنكر الثنوية وحدانية الإله، محتجين بأن الإله الواحد الأحد العالم القادر الحكيم لا يصدر عنه ما يخالف ذلك، فلا يصدر عن الإله الواحد علة الوجود والمتحكم بجميع ظواهره شر ولا نقص ولا تناقض، ولذا قالوا إنه لا بد من وجود أصلين أزليين "إلهين"، هما:

١. الله: وهو روح بحت ونور صرف خيّر يصدر عنه الخير، وقد تولدت عن الله القوى الملائكية مثلما تشعل الشموع من مشعل متقد.

٢. المادة: وهي كثافة مطبقة وظلمة دامسة شريرة يصدر عنها

الشر، وقد تولد عنها الشيطان كما تتولد العفونة من الأجزاء الرطبة[٨].

وقد استدل الثنوية على معتقدهم بدليلين هما:

أ. إن الخير والشر ضدان لا يأتيان من سبب وعلة واحدة؛ بل من سببين وعلتين، مما يدل على أن للكون مبدئين وخالقين.

ب. إن في نسبة الشر إلى "إله الشر" ذود عن كرامة وقدسية "إله الخير" وحصر لأفعاله في الخير.

وبذلك فقد قالوا بوجوب عبادة "إله الخير" شكرا لما وهبهم وليدر عليهم خيره، ووجوب عبادة "إله الشر" ليمسك عنهم شره وضره[٩].

ويمكن تقسيم المعتقدات الثنوية من حيث الشكل والمضمون على ثلاث فئات، هي:

١. الثنوية المطلقة: ومضمونها القول بوجود مبدأين أو أصلين أزليين مستقلين ومتعارضين، لكل منهما عالمه، وسلطانه المطلق على ذلك العالم، فعالم للروح وللنور الأزلي، وعالم للمادة وللظلمة الأزلية.

٢. الثنوية الجذرية: ومضمونها القول بوجود مبدأين متساويين في القيمة النسبية وفي علاقتهما بالوجود، ولكن هذين المبدأين ليسا أزليين بل حادثين ومتولدين عن الإله الأزلي الواحد القديم، وهما في حالة صراع دائم منذ صدورهما.

٣. الثنوية المعتدلة: ومضمونها القول بوجود مبدأ واحد وأصل واحد قديم وأزلي هو "إله الأنوار الأعلى"، ثم إن هذا الإله الأعلى قد خلق إلها أدنى منه مرتبة، قام بدوره بخلق العالم المادي، فالمادة شر بطبيعتها، ولا يمكن للإله الواحد الخيّر أن يخلق الشر أو يكون مسؤولاً عن وجوده[١٠].

ثانيًا: الرؤى الفلسفية الثنوية

وهي الرؤى والأفكار التي نظّرها

بعض الفلاسفة منذ قديم الزمان بدءا ببعض فلسفات بلاد وادي الرافدين القديمة وإلى يومنا هذا، وقد تباينت اتجاهاتها وتعددت مناهجها واختلفت مدارسها، ولكن تقارب تنظيرها لإشكاليتي الخير والشر، وتكثرت آراء فلاسفتها في الشر كنها وأسبابا وآثارا ونتائج، وتشعبت مقولاتها في الصراع والتصادم والسنن الكونية، وتمحور كل ذلك في نتائج توصلوا إليها، منها[١١]:

١. إنكار وجود الله تعالى، حيث قالوا: إنه لو كان الله موجودا لكان العالم كله خير وراحة بلا عناء ولا بلاء، وعليه فإن وجود الشر يتعارض مع وجود الله تعالى، لأن الكمال الإلهي يقتضي أن لا يفعل الله الشر، وأن لا يكون في العالم شر لأن الشر محض فساد لا خير فيه، ولما ثبت وجود الشر لزم عدم وجود الله[١٢].

٢. لما كان الله رحمانا رحيما فإن رحمته تتعارض مع فعله الشر ومع قبوله وجود الشر، ولما كان وجود الشر أمراً واقعاً وفعلياً ولا يمكن إنكاره فيلزم من ذلك أمران:

الأمر الأول: عجز الله عن منع وجود ووقوع الشر.

الأمر الثاني: عدم علم الله بوجود الشر ووقوعه[١٣].

ثالثا: أفكار وتساؤلات ملخصها: أن الله تعالى خلق الشيطان؛ ليكون مصدرا للشر بقدرته وتدبيره، وقرر الشيطان أن يكون معارضاً ومناقضاً لإرادة الله تعالى، فمصدر الشر شخصية ما ورائية كبرى ذات أصل سماوي تنشط في استقلال عن الله[١٤].

وأن خلق كائن شرير (إبليس) لغواية الناس وإضلالهم، وخلق كائنات شريرة (الشياطين) لفعل الشر، وتزويدهم جميعاً بإمكانيات كبيرة لتحقيق ذلك، يتنافى مع كمال

الله تعالى ومع حكمته ورحمته، ويلزم منه ظلم لـ "إبليس، وللشياطين، وللناس، وللأرواح الشريرة" لأنهم مسيرون لفعل الشر، فيفعلونه بقدرة الله الذي أقدرهم عليه وجعله فعلاً صادراً منهم، ويعانون من الشر وويلاته فيلحق الشر أذى ومعاناة وألما بمن يقع عليه من المخلوقات قهرا عليها، وكل ذلك عبث لا يليق بالحكمة الإلهية وضرر لا يليق بالعدل الإلهي، وكذا الأمر في خلق الموجودات المؤذية والمضرة والظواهر الفتاكة والكارثية[١٥].

لقد تلاقحت تلك الأفكار والرؤى والتساؤلات في ذهنية بعضٍ من الناس خصوصا من المتعبدين بالديانات الثنوية لأنها تناغمت مع أصولهم العقدية، وكما هو الحال اليوم في ذهنية المشككين بالعقائد الدينية، لتنتج فكرا وثنيا إلحاديا ثنويا هجينا.

إن الثنوية بعقائدها وفلسفتها ورؤيتها لم تستطع أن تقدم حلاً حقيقياً لإشكاليات الخير والشر، وليس فيها بارقة أمل للإنسان ولا طمأنينة للمجتمع ولا راحة للبشرية، والحقيقة التي لا غبار عليها أن "شرور الحياة" في عين الملحد والكافر بالله الواحد الأحد قذى وشجى وفي نفسه حسرة وتعاسة وفي حركيته ألما وضياع، وأن "شرور الحياة" في عين المؤمن بالله الواحد الأحد اختبار وتمحيص وفي نفسه طمأنينة وسعادة وفي حركيته أمل وظفر.

المبحث الثاني

إبطال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الأصول العقدية للديانات الثنوية

وبعدما تولى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة قصد بثقله العراق لتصحيح المسيرة ووئد الفتنة وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وواجه شبهات عقدية في العراق (بلد الفكر

وتلاقح الحضارات) بعضها متوطن من ديانات بلاد وادي الرافدين السابقة، وبعضها وافد من ديانات بلاد فارس وبلاد الهند وغيرها، قوام تلك الشبهات أصول عقدية وأسس فكرية لبعض الديانات الثنوية، وتساؤلات معرفية شغلت فكر الإنسان انتجت رؤى فلسفية تعدد تنظيرها لإشكاليتي الخير والشر، فما كان من أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن أبدع في تحليلها وتفنيد شبهاتها وبيان مقولة الحق فيها في: خطبه وأقواله ورسائله وأدعيته ومحاوراته، بأسلوب مذهل يجمع بلاغة العبارة وجمال القول ودقة الرؤية وروعة المعنى وعمق الفلسفة، وبما يدل على قداسة المصدر (وحي من الله تعالى وهدي من رسوله صلى الله عليه وآله).

فكشف الشبهات، وأزال اللبس، وبيّن المجمل، وأظهر الصواب، وفند أصول الديانات الثنوية، ومقولات الفلاسفة ورؤى المشككين، بالدليل الدامغ والحجة البينة، ويمكننا إيجاز الإشارة إلى مضامين ذلك بما يأتي:

أولا: لما خلق الله تعالى الإنسان عاقلاً مفكراً فلابد له من إعمال العقل وإمعان النظر في الوجود والموجودات؛ ليدرك الحقائق والمعارف، ولا بد أن يتساءل للمعرفة لا للمعاندة، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا.. وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ»[16]، وقال (عليه السلام): «رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ»[17].

ثانيا: مهما رجح عقل الإنسان لا يمكنه إدراك جميع حقائق الوجود والكون والحياة والمبدأ والمعاد، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»[18]، فعلى

الإنسان أن لا يكون أسير الظنون ولا حبيس الأوهام؛ بل أن يستعين بهدي الوحي الإلهي لتصحيح مدركاته وإصابة الواقع وانتاج معرفة يقينية تسعده في دنياه وآخرته، يقول (عليه السلام): «وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ»(١٩).

ثالثًا: إن عقيدة الديانات الثنوية أوهام في أذهان واضعيها مصدرها ظنونهم وقصور إدراكهم، وهي جزء من المنظومة العقدية لمن جهلوا حق الله تعالى، وابتعدوا عن هدي الوحي الإلهي فابتدعوا أندادا وشركاء لله تعالى بعد أن وقعوا في فخ الشياطين بسبب الجهل في العقيدة الحق والقصور في إدراك الواقع، وتخيلهم أن في ما توصلوا إليه إجابات لإشكاليات تساؤلاتهم، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ»(٢٠)، ويقول (عليه السلام): «كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ»(٢١).

رابعًا: أكد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الحقيقة الثابتة في تاريخ الأمم والشعوب بأنه لم يدع أحد من البشر يوما أنَّه رسول من إله ثان، أو يعلن هذا الإله المزعوم عن نفسه لفرد أو لجماعة أو لأمة أو لشعب، بل إن أهل الثنوية أنفسهم لم يدعوا أن الإله الثاني قد خاطب الناس مطالباً بعبادته واتباعه، فالحقيقة أن الوحدانية ثابتة بالدليل القطعي اليقيني، حيث يقول (عليه السلام): «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ

وَصِفَاتِهِ؛ وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ»[٢٢].

خامسًا: لو وجد إلهان يلزم من ذلك أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يكونا متكافئين في القدرة، فلا إله الخير يستطيع التغلب على إله الشر ولا العكس، وعليه لا يمكن أن يكون أي منهما إلها، وذلك لأن تكافؤ القدرة بينهما دليل ضعفهما إذ لا يستطيع أي منهما دفع الاخر، مما يعني أن قدرة كل منهما محدودة، في حين أن الأزلية الإلهية لزامها القدرة اللانهائية[٢٣].

الأمر الثاني: أن يكونا متغالبين بأن يتغلب أحدهما على الآخر دورياً، وهذا دليل ضعفهما معاً، وبالتالي بطلان ألوهيتهما[٢٤]، قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ»[٢٥]، ويقول (عليه السلام) في دعائه: «اللهمّ إنّك ... قاهر لا تقهر ... وقادر لا تضادّ.. وجبّار لا تعان، وعظيم لا ترام ... وقويّ لا تضعف... وغالب لا تغلب... ومنيع لا تقهر... وواحد لا تشبّه ومقتدر لا تنازع»[٢٦].

سادسًا: لو تعدد الخالق لما وجد شيء من الممكنات، ولما وجدت السماوات والأرض، وذلك لأنَّ تخالف إرادتي الخالقين أو إرادات الخالقين، وتساوي قدرتيهما أو قدراتهم، وعدم المرجح لأحداهما على الأخرى يستلزم أن لا يوجد شيء من الممكنات، والحال أنه توجد موجودات كثيرة بالضرورة، وإذا بطل عدم وجود شيء من الممكنات فإنَّه يبطل القول بتعدد الإله[٢٧].

سابعًا: الآثار كلها تدل على أن المؤثر واحد، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ»[٢٨]، وأن مدبر العالم

واحد أحد، قال (عليه السلام): «وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ»[٢٩]، وقال (عليه السلام): «الْأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ»[٣٠]، أي لا يشكل مع غيره جمعاً أو تثنية؛ لأنَّه تعالى لا ثاني له[٣١].

ثامنًا: لقد دعا جميع الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) إلى إله واحد لا ضد له ولا ند ولا شريك، يقول الإمام (عليه السلام): «فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ»[٣٢]، فالله واحد بوجوده ذاتاً في الأزل والأبد، وواحد في كماله المطلق من كل وجه، ليس كمثله شيء، وصفاته بكاملها موجودة بوجود واحد، منزَّه عن كلِّ ما فيه شائبة الشرك والزيادة عن ذات الله تعالى[٣٣].

تاسعاً: إبليس كائن حسي يدرك ويعقل ويتعصب لأنانيته، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ»[٣٤]، وإبليس كائن مخلوق خلقه الله تعالى لعبادته ومنحه حرية الإرادة والاختيار تماما كما خلق البشر، فهو يفعل ويترك بإرادته واختياره، يقول (عليه السلام): «إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ»[٣٥]، وبعد دهر طويل من العبادة ارتد بمحض إرادته ونكص على عقبيه وتمرد باختياره سالكاً طريق الضلالة والإضلال، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»[٣٦].

وقد حذّر الإمام (عليه السلام) في كل

مناسبة الناس من خطر إبليس وعداوته في أقوال كثيرة، منها: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[٣٧]، مبينا (عليه السلام) أن قدرة إبليس محدودة ودوره لا يتعدى الغواية والوسوسة، وبه تتكامل إرادة الإنسان وحرية اختياره بقوله: «وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا»[٣٨].

ونصح أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس في وجوب الحذر وبالالتزام التام بالمنهج الإلهي المرسوم للخلاص من كيد الشيطان وخطره ووسائله بقوله (عليه السلام): «فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ»[٣٩]، وبقوله (عليه السلام): «فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ»[٤٠]، فلا بد من الاستعانة بالله تعالى لتحقيق خلاص الإنسان من حبائل الشيطان، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ

وَمَزَاجِرِهِ، وَالِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ»[41].

عاشرًا: الشيطان: كل من يوسوس ويغوي ويزين سواء أكان كائنا حسيا أم معنويا، وهو (الشيطان الإنسي، والشيطان الجني، والوسوسة والخواطر السوداء)[42].

إن نفوذ الشيطان محدود بحدود الوسوسة والتزيين والتسويل وإظهار الباطل بمظهر الحق فقط، الأمر الذي بيّنه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا»[43]، فلا سلطان للشيطان في التكوين؛ بل في مجال الأفعال التشريعية والتكليفية للإنسان دون غيره، وسلطة الشيطان على الإنسان محدودة بحدود ذلك وتابعة لإرادة الإنسان نفسه، فتتسع سلطة الشيطان على الإنسان أو تضيق حتى تصل إلى حد العدم إن أراد الإنسان أيا من ذلك[44]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[45].

فحقيقة إضلال الشيطان الإنسان إنما تنحصر في استجابة الإنسان دعوة الشيطان وتزيينه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾[46].

حادي عشر. إن الشر الحقيقي في طاعة الشيطان لأنه يلزم منها الحيرة والضلال والإضلال والفتن والمعاناة والتعاسة والشقاء والنزاع والصراع والآلام والمحن والخطوب والقتل والتشريد والاضطهاد، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ

فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ»[٤٧].

المبحث الثالث

تفنيد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إشكاليات الخير والشر

لما كانت "الشمولية" من مميزات المنهج المعرفي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنه يمكننا إيجاز البحث في تفنيد الإمام (عليه السلام) إشكاليات مقولة "الخير والشر" التي تبنتها الديانات الثنوية ونظّرها فلاسفتها، وذلك بما يأتي:

أولًا: البراهين والأدلة التي ذكرها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبه وأقواله ومضمونها أن الأفعال التي فعلها الله تعالى وأمر بها حسنة كلها، وليست القبائح من أفعاله تعالى ولا من أوامره، يقول (عليه السلام): «وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ»[٤٨]، بل خلق الله تعالى كل أمر حسن[٤٩]، قال (عليه السلام): «قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ»[٥٠].

ثانيًا: من الأمور الحسنة التي خلقها الله تعالى "الإرادة الحرة"، ولكنها سبب لإمكانية وقوع الشر

من المخلوق بإرادته وحريته (ومن أمثلة ذلك فعل الإنسان الشر)، وعليه فإن المخلوق الذي خلقه الله تعالى خيّرا من الممكن أن يفعل الشر كما يمكنه فعل الخير، الأمر الذي يلزم منه أن يتردى الإنسان (فرداً كان أم مجموعاً) في التعاسة والشقاء والضلال والإضلال والمعاناة، وهذا ما حذّر منه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمُثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ»[٥١].

ثالثًا: خلق الله تعالى الإنسان صالحاً خيّرا بطبعه وجبلته، وفطره الله عز وجل على الاستقامة لتمنعه من توجيه إرادته إلى الشر وأسبابه، يقول (عليه السلام): «ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحُقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ»[٥٢].

رابعًا: الشر عنصر طارئ على الإنسان يفعله لأنه لم يقاوم الغواية، قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ»[٥٣]، ولذا أحاط الله سبحانه وتعالى الإنسان برعايته وتوجيهه وتحذيره ومنحه فرص النجاة، فأمره الله سبحانه بأن يتحصن من الغواية بالإيمان والتقوى والعمل الصالح ليعصم من التردي فيها، وبذلك يفعّل الإنسان دوره ليكون خيّرا بسلوكه فلا يفعل شراً، يقول الإمام (عليه السلام): «فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ

ظُلْمَتِكُمْ»[٥٤].

خامسًا: خلق الله تعالى الإنسان في هذه الدنيا ليكون متحركا باختياره وإرادته، وهي إرادة حرة منطلقة إلى "الشر" كما "الخير"، ضمن حدود القدرة الإنسانية التي أنشأها الله تعالى في البشر، وإن فعل الإنسان الشر استعماله لعطية القدرة الإلهية في غير موضعها وتوجيه الإنسان فعله البشري إلى أمر سلبي.

سادسًا: إن منع الله الإنسان عن فعل الشر في كل واقعة يعني إلغاء حرية الإنسان وتحوله إلى كائن مسيّر غير مريد، وإن تدخل الله تعالى في كل واقعة وجزئية لرفع الألم والمعاناة والضرر عن كل كائن حي سيحول العالم إلى فوضى، لانتفاء العلاقات الدائمية المنتظمة بين الأحداث، وسيكون العالم حينئذ بلا ناموس طبيعي مستقر، فلا معنى فيه للإرادة والاختيار والحرية.

سابعًا: إن وجود الشر في العالم مبرر؛ لأنه في مقابل "حرية الإرادة" و"ثبات النواميس الكونية"، فأما حرية الإرادة البشرية فعنصر جوهري في الوجود الإنساني يربو فضلها على كل شر دنيوي؛ لأنَّها مرتبطة بسبب وجود الإنسان على الأرض ومآله في يوم القيامة، وأما ثبات النواميس الكونية فضروري؛ لأنَّه لابد من طبيعة الانتظام في أحداث الكون وثبات أصل السببية لأمور منها[٥٥]:

أ: أنه يوفر بيئة ضرورية لسلامة التفكير العقلي واستنباطاته وتوقعاته، وبالتالي وجود الإرادة العاقلة الحرة ليختار الإنسان فعله.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا إِنَّ الشَّجرَةَ البَرّيّة أَصْلَبُ عُوداً، والرَّوائِعَ الخَضِرَةَ أرَقُّ جُلوداً، والنباتاتِ البَدَويَّة أَقوى وَقُوداً وأَبطَأُ خُموداً»[٥٦]، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَى أَن

﴿تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٥٧]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[٥٨].

ب: وجود القانون والنواميس الثابتة التي تحكم الكون تدفع الإنسان إلى معرفة نفسه وتنمية ذاته بسبب معارفه التراكمية.

جـ: يلزم من إمعان النظر في الكون ومعرفة قوانينه والتأمل في إبداع الخلق معرفة الخالق سبحانه وتعالى عقلا وعلما.

ثامناً: إن الأصل في الكون الخير وأن الشر نشوز[٥٩]، فالأصل العافية والمرض نشوز، والخير لا يمكن عده وحصر تنوعه والشر محصور العدد، أي أن الوجود خير بالذات، أما الشر فيأتي بالعرض وليس ذاتيا، فالشر أثر لفعل أو حال ما فلا وجود لشر مطلق؛ بل هو أمر نسبي أو جزئي فما يكون شرا لشخص يكون خيرا لآخر[٦٠].

تاسعًا: الشر فعل المخلوق، أما المخلوق العاقل كالإنسان فالله تعالى خلقه وأعطاه الإرادة؛ ولكنه بإرادته يفعل الشر[٦١]، وأما المخلوق غير العاقل كالزلازل والبراكين فهي شر من وجه لا من كل الأوجه لأنها ليست شرا في ذاتها[٦٢] بل هي نتاج قوانين فيزيائية بثها الله تعالى في الأرض لتهيئتها لعيش الإنسان وتحرر طاقة باطن الأرض وتخرج الثروة المعدنية من باطن الأرض إلى سطحها ونحوها، علما أن ذلك لا يحدث دائما وإنما يتم في ظروف معينة غير دائمة[٦٣].

عاشرًا: إن كثيرا من أصناف الشرور وأنواع البلاء بسبب ظلم الظالمين وجهل الإنسان، فمثلا مقولات "التفوق العرقي" و"البقاء للأقوى" و"عنفوان القوة والسلطة" أسباب للشر والظلم والأنانية

والفساد في الأرض منذ قديم الزمان وإلى اليوم، ولو اتبع الناس بإرادتهم واختيارهم أوامر الله سبحانه وتعالى لسعدوا في الدنيا والآخرة، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ»(٦٤).

حادي عشر: مهما قيل عن الشر ومعاناته إلا أنه في واقع الحال توجد حكم كثيرة يقرها العقل تفسر وجود الشر في العالم تفسيرا إيجابيا، بل إن الشر عنصر جوهري في إيجاد معنى حقيقي لواقع إيجابي تنمو فيه ذات الإنسان وبما يحقق فوائد مهمة، منها:

أ: وقوع الشر يدفع الإنسان لرفعه ودفعه، مما يؤدي إلى الإبداع وتحريك الطاقات العلمية وبالتالي التقدم الحضاري والتطور المدني والازدهار العمراني(٦٥).

ب: الشر والبلاء يدفعان الإنسان إلى الانتباه من الغفلة والإنابة إلى الله تعالى، والتوجه إليه والتوبة من السيئات فيتكامل الإنسان روحيا وأخلاقيا(٦٦)، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ، النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ»(٦٧).

جـ: الشر والبلاء سبب لمعرفة النعم وتقديرها وشكرها، وتنمية الذات وتطويرها وتهذيبها بمصارعة أسباب السقوط(٦٨)، قال الإمام (عليه السلام): «وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ»(٦٩).

د. الشر والبلاء عقاب للكافرين والظالمين، يقول الإمام أمير المؤمنين

(عليه السلام): «وَايْمُ اللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»[٧٠].

هـ: الشر والبلاء ثواب ورفعة للمؤمنين والصابرين، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ»[٧١].

و: اختبار الناس بالخير والشر وامتحان إيمانهم أمام الفتن نعما ومحنا حتى يثبت أن الإنسان نال درجة الفوز بجدارة وحرية وإرادة.

ثاني عشر: الدنيا دار اختبار وامتحان، وطبيعة ذلك تقتضي المكابدة والفتن والمحن، وإن وجود الإنسان لا ينحصر في الحياة الدنيا؛ بل أن تتمتها في الحياة الآخرة التي هي الحياة الحقة "حياة الجزاء ودار المستقر"، وإن الله تعالى يعامل المعذبين بفضله لا بعدله، فيسبغ عليهم نعيمه الأخروي الذي يتضاءل أمامه كل أذى دنيوي، وفي الآخرة أيضاً يكون القصاص من الشرير ويعاقب على فعله الشر.

ثالث عشر: جعل الله تعالى برحمته وحكمته في الكون نواميس تمنع وقوع كثير من الشر، وأخرى تخفف الألم إلى مدى بعيد جدا وحتى لا تبقي منه إلا أقل القليل، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الملائكة: «وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ»[٧٢]، وأن الله سبحانه وتعالى قد زوّد الإنسان بموانع بيولوجية مدهشة كثيرة تقيه الألم والمعاناة[٧٣].

رابع عشر: إن رحمة الله تعالى بخلقه جميعاً حاضرة في كل زمان ومكان، وهو سبحانه يصرّف الأمور ويعدّل الأحوال بسنن ونواميس ظاهرة وخافية (منها إجابة الدعاء)، وبتوفيق الإنسان إلى اختيارات صائبة، ودفعه إلى غير مواطن الضرر،

وتهيئته لأمور نافعة، وبتعطيل طبائع الأشياء بصور خفية.

خامس عشر: إن الإيمان بالله تعالى إيمانا حقيقيا يقينيا يجعل الإنسان خيّرا في مسيرة حياته ويحدد أفعاله في الخير، ولا بد أن تكون طاعة الله تعالى وعبادته طوعية برسوخ الإيمان في نفس الإنسان على وفق منهج يجمع بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة وبما يحقق أهداف الدين الإلهي الحق.

سادس عشر: مهما قيل عن جبروت الطواغيت، وطغيان الحكام، وعن القوى الخفية، وعن تأثيرات الأفلاك، وحركية الجن والشياطين، وهالة إبليس إلا أن كل ذلك ضعيف تجاه إرادة الإنسان وطاقات الروح الخيّرة التي أراد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) استكشافها واستنهاضها وإعادة بنائها.

الخاتمة والنتائج

نستنتج من مطالب البحث أن لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الريادة في التصدي لعقائد الثنوية وفلسفتها، فأبدع في تبيان حقيقة الخير والشر وفي تحليل الثنوية وتفنيد شبهاتها، موضحا مقولة الحق في خطبه وأقواله ومواقفه بالدليل الدامغ والحجة البينة، ويمكننا إيجاز خلاصة ذلك بما يأتي:

١. على الإنسان بوصفه مخلوقاً عاقلاً مفكراً أمران، أولهما: التدبر والتفكر والنظر والاستدلال ليدرك الحقائق والمعارف بعيداً عن التصورات الساذجة والخرافات والأساطير، وثانيهما: الاستعانة بهدي الوحي الإلهي لتصحيح مدركاته وإصابة الواقع وانتاج معرفة يقينية صحيحة.

٢. مع اعتناق الملايين من الناس عقائد الثنوية إلا أن الثابت يقينا في تاريخ الأمم والشعوب بأنه لم يدع

أحد من البشر يوما أنه رسول من إله ثان، أو ادعى أحد أن الإله الثاني المزعوم قد أعلن عن نفسه أو خاطب الناس مطالبا بعبادته واتباعه.

٣. إن الإيمان بأصلين مختلفين للوجود أحدهما "إله الخير" والآخر "إله الشر" إيمان قائم على الأوهام والظنون، يفنده الدليل القطعي اليقيني، فلا حقيقة لما تدعيه الثنوية من أن العالم صادر عن إلهي الخير والشر وأنهما معا يدبران العالم بصراعهما الدائم.

٤. إن وقوع الشر لا يدل على إنكار وجود الله تعالى، ولا على عن عجز الله عن منع وجود ووقوع الشر، أو عدم علمه سبحانه وتعالى بذلك.

بل شاء الله تعالى أن يجعل الدنيا دار اختبار وامتحان، وطبيعة ذلك تقتضي المكابدة والفتن والمحن، وأن وجود الإنسان فيها مؤقت وخالد في الآخرة، فإن أصابه ضر في الدنيا نال تعويضه في الآخرة بلطف الله تعالى وفضله ورحمته.

٥. إن خلق "إبليس" لا يتنافى مع كمال الله ومع حكمته ورحمته، فهو مخلوق لعبادة الله تعالى كالبشر تماما، ولكنه بعد دهر طويل ارتد بمحض إرادته إلى الكفر والضلالة والإضلال، وأن قدرته محدودة ودوره لا يتعدى الغواية والوسوسة (كما هو شأن بعض شياطين الإنس).

٦. إن الشر الحقيقي في الحياة طاعة الشيطان لأنه يلزم منها المعاناة والآلام والتعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة، والشر فعل الإنسان عندما ينحرف عن دين الله تعالى، مع أن الله تعالى قد خلق الإنسان صالحا خيّرا بطبعه وجبلته ومنحه "الإرادة الحرة".

٧. أصّل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) منهجا تكامليا شموليا

لدفع الشر قبل وقوعه ورفعه بعد الوقوع، وتحويله من بلاء ومعاناة إلى فرصة وفلاح، بترسيخ الإيمان بالله الواحد الأحد، وتحريك طاقات الإنسان وتنمية الذات وتطوير المهارات ومواجهة الصعاب وتزكية النفس لتقويتها بالصبر والأمل وبناء المجتمع المتماسك الواعي بناءً إيجابياً.

الهوامش

(١) ينظر: حسن: الدكتور محمد خليفة، تاريخ الأديان- دراسة وصفية مقارنة: ص١٥٦ وما بعدها.

(٢) سورة النحل: ٥١.

(٣) ينظر: العاملي: الشيخ حسن محمد مكي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل- محاضرات الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني: ١/ ٢٧٤ وما بعدها.

(٤) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان- الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية: ص١٢ وما بعدها.

(٥)ينظر: السواح: فراس (تحرير ومساهمة)، موسوعة تاريخ الأديان- الكتاب الخامس: ٧٤ وما بعدها.

(٦) ينظر: بارندر: الدكتور جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ٩٢ وما بعدها.

(٧) ينظر: العقاد: عباس محمود، إبليس: ص١١ وما بعدها، و: ٦٦ وما بعدها، و: ١٣٢ وما بعدها.

(٨) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان: ٧.

(٩) ينظر د. محمد الصادقي، حوار بين الإلهيين والماديين: ٢٩٢.

(١٠) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان: ١٢.

(١١) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٧٣ وما بعدها.

(١٢) ينظر: عامري: الدكتور سامي، مشكلة الشر ووجود الله: ٢٢ وما بعدها.

(١٣) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ٨٦ وما بعدها.

(١٤) ينظر: السواح: فراس، الرحمن والشيطان: ٨٢ وما بعدها، و: ٢٢٣ وما بعدها.

(١٥) ينظر: مطهري: الشهيد آية الله مرتضى، العدل الإلهي: ٦٣ وما بعدها.

(١٦) نهج البلاغة١/ ٢١.

(١٧) المصدر نفسه: ١/ ١٩٧.

(١٨) المصدر نفسه: ١/ ١٦٢.

(١٩) المصدر نفسه: ١/ ٢٤.

(٢٠) المصدر نفسه: ١/ ٢٣.

(٢١) المصدر نفسه: ١/ ١٦٤.

(٢٢) المصدر نفسه: ٣/ ٤٤.

(٢٣) ينظر: الخرازي: السيد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: ١/ ٥٦.

(٢٤) د. محمد الصادقي، حوار بين الالهيين والماديين، ٣٠٠.

(٢٥) نهج البلاغة: ٢/ ١٢٤.

(٢٦) القرشي: الشيخ باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ٤/ ٢٨- ٢٩.

(٢٧) محمد علي ناصر، أصول الدين الاسلامي: ١٠٤.

(٢٨) نهج البلاغة: ٢/ ١٠٤.

(٢٩) المصدر نفسه: ٢/ ١١٥.

(٣٠) المصدر نفسه: ٢/ ٤٠.

(٣١) مغنية: الشيخ محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٣٧١.

(٣٢) نهج البلاغة: ١/ ٢٣.

(٣٣) ينظر: الخرازي/ بداية المعارف الإلهية: ١/ ٢٥.

(٣٤) نهج البلاغة: ٢/ ١٥٠.

(٣٥) المصدر نفسه: ٢/ ١٣٩.

(٣٦) المصدر نفسه: ١/ ٢١- ٢٢.

(٣٧) المصدر نفسه: ١/ ٢٣٥.

(٣٨) المصدر نفسه: ١/ ١١١.

(٣٩) المصدر نفسه: ٢/ ١٣٩.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢/ ١٤٢.

(٤١) المصدر نفسه: ٢/ ٣٧.

(٤٢) مغنية: الشيخ محمد جواد، التفسير الكاشف: ١/ ٢٠ و: ٣/ ٢٤٩.

(٤٣) نهج البلاغة: ١/ ١١١.

(٤٤) مطهري، العدل الإلهي: ٧١.

(٤٥) سورة النحل: ٩٩- ١٠٠.

(٤٦) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٤٧) نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

(٤٨) المصدر نفسه: ٢/ ١١٥.

(٤٩) ينظر: الخرازي: بداية المعارف الإلهية: ١/ ١٠١ وما بعدها.

(٥٠) نهج البلاغة: ١/ ١٦٥.

(٥١) المصدر نفسه: ٢/ ١٥٠- ١٥١.

(٥٢) المصدر نفسه: ١/ ٢١.

(٥٣) المصدر نفسه: ١/ ٩٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٧٣.

(٥٥) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ١١٩ وما بعدها.

(٥٦) نهج البلاغة: ٣/ ٧٢.

(٥٧) سورة النساء: ١٩.

(٥٨) سورة الشرح: ٥- ٦.

(٥٩) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ٥٨ وما بعدها.

(٦٠) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٧٥ وما بعدها.

(٦١) ينظر: مطهري، العدل الإلهي: ١٥٤ وما بعدها.

(٦٢) ينظر: مغنية: الشيخ محمد جواد، فلسفة التوحيد والنبوة: ٤٣ وما بعدها.

(٦٣) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ١٠٣ وما بعدها.

(٦٤) نهج البلاغة: ٢/ ١٠٦.

(٦٥) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٨٢.

(٦٦) ينظر: مطهري، العدل الإلهي: ١٤٩ وما بعدها، العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٨٣ وما بعدها.

(٦٧) نهج البلاغة: ٢/ ٩٩.

(٦٨) ينظر: العاملي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٢٨٥.

(٦٩) نهج البلاغة: ٢/ ١٤٨.

(٧٠) المصدر نفسه: ٢/ ٩٨.

(٧١) المصدر نفسه: ٢/ ١١٢.

(٧٢) المصدر نفسه: ١/ ١٩.

(٧٣) ينظر: عامري، مشكلة الشر ووجود الله: ١٩١ وما بعدها.

مصادر البحث:

١. الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، نهج البلاغة -وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، لا. ت).

٢. بارندر: الدكتور جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت، ١٩٩٣ م): ص٩٢ وما بعدها.

٣. حسن: الدكتور محمد خليفة، تاريخ الأديان- دراسة وصفية مقارنة، الناشر: دار الثقافة العربية، (القاهرة، ٢٠٠٢ م).

٤. الخرازي: السيد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ط١٠، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، (١٤٢٣ هـ، قم المقدسة).

٥. السواح: فراس، الرحمن والشيطان -الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية، ط١، الناشر: دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٠ م).

٦. السواح: فراس (تحرير ومساهمة)، موسوعة تاريخ الأديان- الكتاب الخامس، ترجمة: عبد الرزاق العلي و محمود منقذ الهاشمي، ط٣، الناشر: دار التكوين، (٢٠١٦ م).

٧. الصادقي: الدكتور محمد، حوار بين الإلهيين والماديين، ط٢، الناشر: انتشارات فرهنك إسلامي، (طهران، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م).

٨. عامري: الدكتور سامي، مشكلة الشر ووجود الله، ط١، الناشر: مركز تكوين للأبحاث والدراسات، (الخبر- السعودية، ١٤٣٧ هـ/ ٢٠١٦ م).

٩. العاملي: الشيخ حسن محمد مكي، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل- محاضرات الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ط٧، (قم المقدسة، ١٤٣٠ هـ).

١٠. العقاد: عباس محمود، إبليس، الناشر: دار نهضة مصر، (القاهرة، لا. ت).

١١. القرشي: الشيخ باقر شريف، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط١، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، (١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م).

١٢. محمد علي ناصر، أصول الدين الاسلامي، الناشر: المكتبة العصرية،(صيدا، لا. ت).

١٣. مطهري: الشهيد آية الله مرتضى، العدل الإلهي، ط٢، الناشر: دار الإرشاد، (بيروت،

١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م).

١٤. مغنية: الشيخ محمد جواد، التفسير الكاشف، ط٤، الناشر: دار الأنوار، (بيروت، لا. ت).

١٥. مغنية: الشيخ محمد جواد، فلسفة التوحيد والنبوة، ط٤، الناشر: دار الجواد ودار التيار الجديد، (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م).

١٦. مغنية: الشيخ محمد جواد/ في ظلال نهج البلاغة، ط٣، الناشر: دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٩ م).